سعيد النورسي

الاطار والافق

الماضي المبكر

ولد سعيد النورسي سنة 1294هـ الموافقة لسنة 1877ميلادية في قرية (نورس) ، الواقعة في شرق الاناضول بكردستان تركيا .

في وقت مبكر من حياة سعيد ظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ ، وتميز عن أقرانه بحب الاطلاع وكثرة الاستفسار ودقة الملاحظة ، وكان يحرص على حضور مجالس الكبار التي كان يدعو إليها والده في بيته ، ويناقش فيها مع علماء القرية مسائل كثيرة .

وفي هذا الصبا المبكر ، جلبت اهتمامه مسائل فلسفية وفكرية عميقة ، كانت تدعوه إلى التأمل والتفكير ، يقول عن نفسه : «كنت قد حدثت خيالي في عهد صباي أي الأمرين تفضل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم ، أم وجودا باقيا مع حياة اعتيادية ذات مشقة؟ فرأيته يرغب في الثانية ، ويضجر من الأولى قائلا : إنني لا أريد العدم بل البقاء»(1) .

سلك سعيد مسلك أخيه الأكبر (الملا عبد الله) في توجهه إلى طلب العلم ، فشرع في تلقي علومه الأولى في قرية (طاغ) سنة (1882 م) على يد شيخ القرية (محمد أفندي) ، وفي نهاية كل أسبوع كان ينتهز فرصة رجوع أخيه إلى البيت ليتلقى منه دروسا إضافية ، غير أنه لم يستمر طويلا في هذه القرية بسبب حدة مزاجه وتخاصمه مع زملائه، فانتقل إلى قرية (بيرمس) ، حيث نال إعجاب شيخ المدرسة لأخلاقه وشجاعته وعلمه حتى لُقب بـ "تلميذ الشيخ" . ولفرط إعجاب الشيخ به قام بزيارة والديه كي يقف بنفسه على طريقة تنشئته والبيئة التي نشأ فيها(2) .

كان ميل النورسي – إذاً – إلى طلب العلم قويا منذ نشأته الأولى ، وأصبح هذا الميل أكثر قوة عندما رأى في منامه رؤيا تحثه على الاستزادة في طلب العلم ، وظلت راسخة في ذاكرته إلى آخر حياته.

---

(1) بديع الزمان سعيد النورسي : الشعاعات . ترجمة إحسان قاسم الصالحي . ص : 277 . 278 .

(2) عندما وصل الأستاذ إلى بيت سعيد سأل والدته : كيف ربيتم هذا الصغير ؟ ، أجابت الوالدة : عندما أصبحت حاملا بسعيد ، لم أطأ مكانا دون وضوء ، وعندما جاء سعيد إلى الدنيا لم أرضعه دون وضوء . واتفق أن حضر والد سعيد ميرزا وهو يقود بقرتين وثورين . عجب الأستاذ حينما رأى أفواه هذه الحيوانات مكممة ، فسأله عن سبب ذلك ، فأجاب ميرزا قائلا : يا سيدي إن مزرعتي بعيدة بعض الشئ ، وأنا اضطر في الذهاب والإياب إلى المرور عبر مزارع الجيران ؛ لذا أكمم أفواه هذه الحيوانات كي لا تأكل من حشائش هذه المزارع ونباتاتها ؛ لأني أحذر أن تدخل بيتي لقمة حرام .(انظر : أورخان محمد علي : سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة . ص : 11) .

لذا استأذن والديه وذهب إلى (بتليس) سنة (1888م) ، والتحق بمدرسة الشيخ (أمين أفندي) ، غير أنه لم يمكث بها طويلا ؛ لأن الشيخ رفض تدريسه لصغر سنه وأوكله إلى شخص آخر ، وهذا ما حز في نفس سعيد ، فانتقل إلى مدرسة (مير حسن ولي) في (مكس) ، ثم إلى مدرسة (كواش) في (وان) . وفي كل هذه المدارس لم يجد سعيد ما يحقق طموحه العلمي ، حيث كانت الدراسة تقتصر على النحو والصرف ، كما لم يجد الاهتمام الكافي به ، لكونه من تلاميذ المراحل الأولى(1) .

بعد ذلك اتجه إلى مدرسة في قضاء (بايزيد) التابعة لمحافظة (أرضروم) ، وهناك بدأت الدراسة الأساسية للنورسي برعاية أستاذه الشيخ (محمد جلالي) .

ومع أن الفترة التي قضاها في هذه المدرسة لم تزد على ثلاثة أشهر ؛ فإنها كانت غنية بالتحصيل العلمي وشكلت نواة التكوين الفكري لديه ، إذ أتم دراسة الكتب المقررة عادة في المدارس الدينية ، وكان يقرأ في اليوم الواحد من متون أصعب الكتب مائتي صفحة ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي ، وساعده في ذلك حدة ذكائه وقوة حافظته ، إذ كان باستطاعته حفظ صفحة كاملة من أعقد المتون بمجرد قراءتها قراءة واحدة(2) .

وفي هذه الفترة انقطع عن العالم ، و ظل يقضي معظم وقته في القراءة على ضوء القناديل والفوانيس ، ودخل مرحلة زهد وتقشف و رياضة نفس عنيفة ، متأثرا في ذلك بآراء بعض الحكماء الإشراقيين وسلوكهم .

وبعد نهاية الأشهر الثلاثة بصحبة الشيخ (محمد جلالي) ، اتجه إلى (بتليس) (1889م) حيث حضر بعض الدروس لأستاذه السابق (محمد أفندي) ، ومن هناك ذهب إلى مدينة (شيروان) فالتقى بأخيه الأكبر (الملا عبد الله) ، و جرت بينهما محاورة برهنت على نبوغ سعيد وتفوقه.

ثم اتجه إلى (سعرد) ، حيث التقى بأستاذه السابق (فتح الله أفندي) الذي عجب لقوة ذكائه وحفظه(3) .

وبهذا أصبحت سيرة التلميذ العبقري حديث المجالس العلمية ، فشوقت علماء (سعرد) إلى مجادلته في أصعب المسائل العلمية للتأكد من صحة ما يروج حوله . وبالرغم من كثرة السائلين وصعوبة الأسئلة ، فإن سعيدا أفحم الجميع

---

(1) المرجع السابق .

(2) انظر : إحسان قاسم الصالحي : بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره . ص : 21 . الحفظ هنا معناه الفهم الجيد ، والاستيعاب التام ، والقدرة على استحضار المسائل المقروءة ، وليس معناه . بالضرورة . الحفظ عن ظهر قلب ، وهو بهذا المعنى الذي بينته ما زال معروفا في بعض المناطق التي تركز على طرق التعليم القديمة ، مثل : موريتانيا .

(3) كما شهد له بقوله : "إن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شئ نادر جدا" .(انظر : إحسان قاسم : بديع الزمان – ص : 22) .

وهو لم يتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمره ، فأطلقوا عليه (سعيدي مشهور) ، أي : سعيد المشهور .

ومن (سعرد) توجه إلى (بتليس) ، ومنها إلى مدينة (تللو) ، حيث اعتكف مدة في أحد أماكن العبادة ، وهناك حفظ – على ما ترويه المصادر – من كتاب "القاموس المحيط" للفيروزآبادي حتى باب السين .

وقد أسهمت إقامته مع والي (بتليس) فيما بعد في إثراء تكوينه العلمي ؛ إذ استفاد من مكتبة الوالي الغنية بأصناف من العلوم ، واطلع على أمهات الكتب في علم الحديث ، وعلم الكلام ، والمنطق ، والنحو ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، فحفظ منها شيئا كثيرا ، كما كانت الكتب والصحف الصادرة من استانبول مصدرا آخر لمعلوماته.

وفي (ماردين) تلقى النورسي آخر د روسه الدينية على يد الشيخ (محمد الكفروي)[1] .

لقد جمع النورسي إلى حدة الذكاء وقوة الحافظة الشجاعة والإقدام ؛ إذ لم يكن يهاب الأمراء والحكام ، ولم يحل صغر سنه دون مواجهتهم ونصحهم للإقلاع عن ظلمهم للرعية[2] .

ذهب سعيد إلى (ماردين) سنة (**1892**م) بعد أن قضى مدة في (جزرة) ، وهناك نشط في إلقاء الدروس بجامع المدينة والإجابة عن أسئلة قاصديه حتى ذاع صيته .

وبدأت منذ ذلك الوقت حياته السياسية الأولى ؛ إذ التقى في (ماردين) بطالبين ساعداه في توسيع آفاقه الفكرية ، أحدهما كان من أتباع جمال الدين الأفغاني (**1839–1897** م) ، الذي يرى النورسي أنه استطاع الجمع بين العلم والدين . وسيرا على نهجه أصبح يستخدم مصطلحات الأفغاني في أدبياته . أما الطالب الثاني فكان من أتباع الطريقة السنوسية التي بدأت تعمل منذ (**1840**م) لتوحيد القبائل البدوية[3] .

ونتيجة نشاط النورسي في (ماردين) ، وُشي به إلى الوالي ؛ فنفاه إلى (بتليس) تحت حراسة مشددة . غير أن والي بتليس عرف بعد مدة قصيرة فضل هذا الشاب العالم ومنزلته ، فطلب منه أن يقيم معه في بيته .

مكث النورسي خمس عشرة سنة بـ (وان) ، قضاها في التدريس متبعا في

---

(1) نسبة إلى قرية(كفرة) من قرى ولاية (سعرد) .(المرجع السابق : . ص : 24) .

(2) انظر ما رواه عبد القادر بادللي في كتابه (بديع الزمان سيرة ذاتية مفصلة – 87/1) ، إذ يسرد قصة ذهاب النورسي إلى رئيس عشيرة (ميران) ودعوته إياه . دون خوف أو وجل . إلى الإقلاع عن الظلم والالتزام بالإسلام .

(3) انظر : أحمد النعيمي : الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا – ص : 56 .

ذلك طرقا جديدة غير التي كانت سائدة في المدارس الدينية ، ولم يقتصر نشاطه على التدريس ؛ إذ كان يخرج بين الحين والآخر لإرشاد القبائل والإصلاح بينها ، وحقق في ذلك نجاحا لم يستطع مسؤولو الدولة تحقيقه ، نظرا لما كان يحظى به من احترام وتقدير في تلك الأوساط[1] .

وفي هذه الفترة جمعته لقاءات ومناقشات ببعض أساتذة العلوم الحديثة ، شعر فيها بقصور باعه في تلك العلوم ؛ الأمر الذي دفعه إلى تعلمها والتمكن منها في فترة وجيزة ، حيث اطلع على علوم الجغرافيا ، والجيولوجيا ، والفيزياء ، والكيمياء ، والفلك ، والفلسفة ، والتاريخ ، وأصبح قادرا على التأليف في بعضها[2] ، ومناقشة المتخصصين في مجالاتها ، ولحدة ذكائه ونبوغه العلمي ذاعت شهرته ، فلقب : "بديع الزمان" .

اهتم النورسي بمتابعة أحوال العالم الإسلامي من خلال الاطلاع على ما ينشر في الصحف اليومية والمطبوعات الأخرى .

وأثناء إقامته في (وان) قرأ خبرا مثيرا نقلته إحدى الصحف المحلية عن خطاب لوزير المستعمرات البريطانية (وليم غلادستون)[3] في مجلس العموم البريطاني ، حيث كان يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا : «ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم ، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود ، أو نقطع صلة المسلمين به»[4] .

ولإنجاز وعده فكر في إنشاء جامعة إسلامية في كردستان تحت اسم "مدرسة الزهراء"[5] ، تكون مركزا لخدمة القرآن الكريم على غرار "الجامع الأزهر" بمصر ، وفق نظام حديث ، تجمع في التدريس بين العلوم القرآنية والعلوم الحديثة ، حتى تخرج شبابا مثقفا ثقافة أصيلة ، مستوعبا لما استجد من العلوم ، فيسهم حينئذ في نشر حقائق الإسلام والدفاع عنها . .

ومن أجل تحقيق هذا المشروع شد النورسي الرحال إلى استانبول وهو لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره ، ومكث هناك سنة ونصف سنة ، محاولا

---

(1) انظر : أورخان علي : النورسي رجل القدر – ص : 25 . 26 .

(2) ألف النورسي كتابا في علم الرياضيات ، إلا أن هذا الكتاب ضاع بسبب حريق كبير شب في مدينة(وان) .(انظر : مصطفى زكي العاشور : بديع الزمان سعيد النورسي ، نظرة عامة عن حياته وآثاره – ص : 23) .

(3) وليم غلادستون(1809 – 1898 م) : زعيم حزب الأحرار في انجلترا ، تقلد مناصب وزارية متعددة ، تعمق في الدراسات الدينية وله عدة مؤلفات) .(انظر : – الموسوعة العربية الميسرة – ص : 635 . 636) .

(4) إحسان قاسم : بديع الزمان – ص 25 .

(5) المدرسة هنا بمعنى : الجامعة .

إقناع المسؤولين بمشروعه ، غير أنه لم يفلح في مسعاه ؛ فرجع إلى (وان)[1] .

وفي سنة (1907م) – أي بعد إحدى عشرة سنة – عاد إلى استانبول وأقام في خان "الشكرجي"[2] في منطقة (فاتح) ، حيث كان ملتقى كثير من المفكرين والأدباء ، أمثال الشاعر المشهور : "محمد عاكف"[3] ، فعرض عليهم فكرته فاستحسنوها ، ودارت بينهم مناقشات علمية متنوعة برهنت على نبوغه وتفوقه .

كان النورسي مدركا بأن الإصلاح التعليمي والسياسي هما أساس أي نهضة ؛ لذا قدَّم – أثناء إقامته في استانبول – التماسا إلى السلطان عبد الحميد الثاني يطلب فيه فتح مدارس للعلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء بجانب المدارس الدينية ، ولاسيما في كردستان حيث يسود الجهل والفقر والتخلف .

كما طلب من السلطنة القيام بواجبها نحو المسلمين في كل الأنحاء قائلا : «إن مقام الخلافة لا ينحصر في إقامة شعائر صلاة الجمعة ، فكما أن للخلافة قدرة وقوة معنوية ؛ يجب أن تكون لها القدرة المادية التي تكفل مصالح الأمة المحمدية في أقطار الأرض جميعا»[4] .

وخلال لقائه بالمسؤولين انتقد النورسي نظام الحكم ، وسياسة الاستبداد المتبعة من السلطة ، مبينا نظام الحكم الصحيح : «لا استبداد في الإسلام ، فما يصدر حول فرد من الأفراد من قرار يجب أن يصدر بعد استكمال جميع مراحل المحاكم التي يجب أن تكون علنية وضمن العدالة الشرعية ، وليس من الجائز صدور القرار من قبل أشخاص غير معروفين ونتيجة دسائس معينة ، واعتمادا على تقارير سرية»[5] .

و بعد أسابيع من مكوثه في المستشفى حضر الطبيب المسؤول لفحصه وكتابة تقرير عن حالته ، ومن خلال الحديث الذي دار بينهما ذهل الطبيب ذهولا جعله يكتب في تقريره :

«لو صح أن ببديع الزمان أدنى مس من الجنون ، لما وجد على وجه الأرض عاقل»[6] .

---

(1) المرجع السابق .

(2) الخان : الفنادق التي كانت توجد سابقا في المدن أو على الطرقات .

(3) محمد عاكف(1873 . 1936 م) : من أبلغ شعراء الترك ، أصبح عضوا في دار الحكمة الإسلامية ، جمع بين الثقافة العلمية واللغوية والدينية . اشتهر بديوانه ونشيد الاستقلال(انظر : المرجع السابق – ص : 26) .

(4) أورخان علي : النورسي رجل القدر – ص : 30 .

(5) المرجع السابق ، ص 30-31 .

(6) إحسان قاسم : بديع الزمان – ص 28 .

ومع أن التقرير كان إيجابيا ، فقد بقي النورسي – نتيجة المماطلات – ثمانية أشهر في المستشفى ، ثم أرسل بعد خروجه إلى وزارة الداخلية حيث حاولت السلطة استمالته وإسكاته[1] ، لكنه لم يخضع لهذا كله ، بل إنه اختار حياة العزوبة إلى آخر حياته ، كي لا يتعرض لمثل هذه الضغوط . ولعل اختياره كان له ما يبرره ؛ إذ إن ما واجهه بعد ذلك من سجن ونفي ومطاردة م يكن ليعينه على القيام بأعباء مسؤولية الزواج[2] .

قبيل إعلان المشروطية الثانية[3] عام 1908 اتجه النورسي إلى (سلانيك)[4] فرحب به كبار شخصيات الاتحاد والترقي لكونه من دعاة الحرية ومبدأ الشورى الإسلامي ومنتقدي الاستبداد .

لقد جمعت الدعوة إلى الحرية ومقاومة نظم الحكم الاستبدادية بين النورسي والاتحاديين ؛ لذا مال إليهم فترة محدودة أملا في ظهور عناصر منهم تسعى إلى ما كان يسعى إليه هو أيضا، وحاولوا – هم بدورهم – تسخيره لخدمة أهدافهم الخاصة ، لكنه ظل مستقلا عنهم وعندما تبين انحرافهم عن الدين ، واجههم بقوله : « لقد اعتديتم على الدين وأدرتم ظهوركم للشريعة» .

ذلك أنه بعد إعلان المشروطية وإطلاق حرية الصحافة ، سادت موجة فكرية تدعو إلى الإلحاد ومحاربة الدين ، ظنا من أصحابها أن سبيل النهوض والتقدم هو استبعاد الدين من المجتمع ، من ذلك ما نشره الصحفي "حسين جاهد يالجين"(❖) رئيس تحرير جريدة (طنين) ، وأحد الأعضاء البارزين في جمعية "الاتحاد والترقي" ، حيث قال : « إنه آن الوقت لأن نفكر جديا في اقتباس "العلمانية" ، فالغرب لم يتقدم إلا عندما مزق سيطرة الكنيسة وسيطرة رجال الدين المسيحيين» .

فرد عليه النورسي بمقالة بيّن فيها أن الإسلام ليس فيه رجال دين بالمفهوم الغربي المسيحي ؛ لذا فإن المقارنة باطلة : «ليس في الإسلام طبقة الرهبان ؛

---

(1) أثناء مقابلته لوزير الداخلية ، حاول هذا الأخير استمالته وإغراءه بمكافآت مالية ومناصب عالية ، بيد أنه رفض كل العروض ، وكان مما قاله للوزير : «إن خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا بإسداء النصائح ، وهذه لا تتم إلا بحسن تأثيرها ، وهذا لا يتم إلا بترك المصالح الشخصية ، فإنني معذور – إذا – عندما أرفض المرتب» .(إحسان قاسم : بديع الزمان – ص 29) .

(2)لمعرفة رأيه بالتفصيل في هذا الموضوع انظر كتابه : الملاحق في فقه دعوة النور – ص : 400 .

(3) انظر التمهيد – ص 23 .

(4) سلانيك : كانت هذه المدينة آنذاك المركز الرئيسي لنشاط "جمعية الاتحاد والترقي" المناهضة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني .(انظر : علي سلطان : تاريخ الدولة – ص : 354) .

(❖) وهو من يهود الدونمة نفى الى مالطا عام 1918 مع اقطاب الاتحاد والترقى بعد هذه الهزيمة الدولة الثانية، توفى عام 1959 (عن د. احمد نورى النعيمى).

ذلك لأن النص الوارد في أنه (لارهبانية في الإسلام) يشكل قاعدة رئيسية من قواعد تفكيرنا ، ويجب أن يكون كذلك في الواقع أيضا ، والمنطق يرفض أن نحمّل النتائج الضارة الناتجة من التطبيق السئ على هذه الفكرة ، وأن نجعلها موضع نقاش . . . إن الإسلام نظام كامل للحياة ؛ فشريعتنا لم تدع وظائفنا التعبدية شيئا نظريا وأمرا منفصلا عن الحياة ، بل أدمجتها ضمن هذه الحياة وضمن نظامها ، فإن انفصلت عقائدنا تماما عن قلب الحياة ، فلا يبقى في أيدينا سوى شئ نظري»(1) .

تبيّن النورسي من خلال استقرائه للخطوات التي سار عليها الاتحاديون النتيجة التي ستصل إليها الدولة العثمانية ، كما تبيّن مستقبل الإسلام في أوروبا . وهذه الرؤية المستقبلية تلخصها إجابته عن سؤال مفتي الديار المصرية ، إذ قال بديع الزمان :

«إن الدولة العثمانية حبلى حاليا بجنين أوروبا وستلد يوما ما ، أما أوروبا فهي أيضا حبلى بجنين الإسلام وستلد يوما ما»(2) .

تشير الوقائع في حياة النورسي أنه حدث تمرد بين أفراد القوة العسكرية المكلفة بحماية (المشروطية) ، في (1909/3/31م) ، حيث ثار الجنود واحتجزوا ضباطهم في ثكنة باستانبول ، واجتمعوا في منتصف الليل بساحة (السلطان أحمد) ، فانضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى مطالبين بالشريعة ، ومعلنين عصيانا دام أحد عشر يوما ساد فيها الاضطراب والفوضى .

ولم تنته الحادثة إلا بعد وصول "جيش الحركة "(3) إلى استانبول في (1909/4/23) ، حيث سيطر على الوضع ، وأعلن الأحكام العرفية ، وعزل السلطان عبد الحميد الثاني في السابع والعشرين من الشهر نفسه ؛ لاتهامه بالوقوف وراء الحادثة التي عدّت محاولة انقلاب .

وعلى إثر ذلك شكلت محاكم عسكرية لمحاكمة المسؤولين ؛ فكان النورسي ضمن الذين قدموا إلى المحكمة بسبب مقالاته التي نشرت في جريدة

---

(1) أورخان علي : النورسي رجل القدر . ص : 41 .

(2) في سنة(1908 م) كان مفتي الديار المصرية في زيارة(لاستانبول) ، فاقترح علماء المدينة إجراء مناظرة بينه وبين بديع الزمان ، لعله ينجح فيما فشل فيه العلماء ، لكن جواب النورسي أفحم المفتي الذي قال : «إنني أوافق على ما قال ، لأنني أحمل الاقتناع نفسه ، ولا يمكن المناظرة مع مثل هذا الشاب ؛ لأن مثل هذا الجواب الوجيز خاص ببديع الزمان» .(انظر : بديع الزمان النورسي : الملاحق في فقه دعوة النور . ص : 386 ؛ وأورخان علي : النورسي . ص : 38) .

(3) "جيش الحركة " : اسم القوة التي أرسلها مسؤولو الاتحاد والترقي من مركزهم(سلانيك) إلى استانبول للقضاء على التمرد ، ولم يكن جيشا نظاميا ، وإنما كان مكونا من متطوعين من بلغاريا ، وألبانيا ، ويهود مدينة سلانيك .(انظر : أورخان علي : النورسي – ص : 46) .

"وولقان" (Volkan)[1] ، وعُدّت محرضة ضد الحكومة .

وأثناء المحاكمة شرع الحاكم العسكري في استجواب النورسي قائلا : «أنت أيضا تدعو إلى تطبيق الشريعة؟ إن من يطالب بها يشنق . [وأشار إلى جثث المشنوقين التي ترى عبر النافذة]» .

فقام بديع الزمان للرد على الحاكم العسكري قائلا – دون خوف أو وجل : « . . لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام . . . فقد قلت إني طالب علم ؛ لذا فأنا أزن كل شئ بميزان الشريعة . إنني لا أعترف إلا بملة الإسلام ، إنني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه (السجن) في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة ، لا لتسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله . . .

إنني متهيء بشوق لقدومي إلى الآخرة . . وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق . . تصوروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب استانبول ومحاسنها فاشتاق إليها ، إنني مثله تماما في شوقي إلى الآخرة والقدوم إليها . إن نفيكم إياي إلى هناك لا يُعدّ عقوبة . . إن كنتم تستطيعون فعاقبوني المعاقبة الوجدانية . لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد ، والآن فإنها تعادي الحياة ، وإن كانت هذه الحكومة هكذا ؛ فليعش الجنون ، وليعش الموت ، وللظالمين فلتعش جهنم . . . »[2] .

ثم بدأ يعدد الجنايات المنسوبة إليه ويرد عليها ردا مفحما ، فعن اتهامه بانضمامه إلى "الاتحاد المحمدي"[3] ردّ النورسي قائلا :

«تقولون هل انضممت إلى الاتحاد المحمدي ، وأقول : نعم . . وبكل فخر . . فأنا أصغر فرد من هذا الاتحاد ، ولكن بالصيغة التي أعرفها ، ومن الذي يرضى أن يبقى خارج هذا الاتحاد سوى الملحدين!! أروني من؟»[4] .

ثم حمل على جمعية "الاتحاد والترقي" التي أخذت تلصق تهمة الرجعية بكل من يخالفها ، مع أنها كانت تعارض الاستبداد وتدعو إلى (المشروطية)[5] ، فقال :

«إن كانت (المشروطية) تعني مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة ،

---

(1) وتعني : البركان .

(2) بديع الزمان سعيد النورسي : المحكمة العسكرية العرفية(صيقل الإسلام) . ص : 35 .

(3) جمعية تشكلت من مجموعة شخصيات إسلامية رد فعل على موجة العداء للإسلام التي قادها الاتحاديون .

(4) المصدر السابق .

(5) أي إقرار مبدأ الشورى .

فليشهد الثقلان[1] أني رجعي ؛ ذلك لأن الاتحاد القائم على الكذب كذب أيضا ، والمشروطية القائمة على أسس فاسدة ومفسدة ، مشروطية فاسدة ؛ ذلك لأن المشروطية الحقة التي لها الدوام ، هي المشروطية القائمة على الحق وعلى الصدق وعلى المحبة وعلى أساس لا امتيازات فيه . سوف أقول الحقيقة فقط ، ولن أجانب الحق أبدا ؛ ذلك لأن مقام الحق سام ، ولن أضحي به لخاطر أحد لذا لن يصرفني عن ذكر الحق لوم لائم»[2] .

كما انتقد التوجه التغريبي الذي سار عليه الاتحاديون باسم المدنية ، فقال :

«إذا كانت المدنية الحاضرة هي هذه التصرفات التي تمس الكرامة الإنسانية وتعتدي عليها ، وهي هذه الافتراءات التي تؤدي إلى النفاق ، وهي هذه الأفكار التي تغذي الحقد والانتقام ، وهي هذه المغالطات الشيطانية والتحلل من الآداب الدينية . إذا كانت هذه هي المدنية ، فليشهد الثقلان بأنني أفضل قمم الجبال الشاهقة في كردستان ، وأفضل حياة البداوة في تلك الجبال – حيث الحرية المطلقة – على موطن النفاق الذي تسمونه (قصر المدنية) . ثم تمثل بهذه الأبيات الشعرية بالعربية :

ولولا تكاليف العلا ومقاصد ... غوالٍ وأعقاب الأحاديث في

لأعطيت نفسي في التخلي ... وذاك مرادي مذ نشأت

وأكتم أشياء ولو شئت قلتها ... ولو قلتها لم أبق للصلح[3]

وأمام هذا الدفاع المفحم لم تستطع المحكمة أن تثبت عليه أي تهمة ، الأمر الذي حدا برئيسها إلى إصدار حكم البراءة في الجلسة نفسها .

ومن ثمّ غادر النورسي استانبول عام (**1910**م) متجها إلى مدينة (وان) ، حيث واصل نشاطه في إرشاد الناس ، وتعليمهم أمور دينهم من خلال دروس دينية واجتماعية ، لخصها في كتابه " المناظرات" الذي طُبع – فيما بعد – باستانبول .

في عام (**1911**م) قام النورسي بزيارة لبلاد الشام ، حيث ألقى خطبة باللغة العربية في المسجد الأموي سُميت فيما بعد (الخطبة الشامية) ، خاطب فيها علماء الشام ، محللا أوضاع العالم الإسلامي ومبينا أمراض الأمة والعلاج اللازم لها . وقد لخص هذه الأمراض فيما يلي :

1 – اليأس والقنوط الذي وجد أسباب الحياة في النفوس .

---

(1) الإنس والجن .

(2) بديع الزمان النورسي : المحكمة العسكرية العرفية(صيقل الإسلام) . ص : 454 .

(3) المصدر السابق . ص : 461 .

2 – انعدام الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية .

3 – حب العداوة .

4 – تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .

5 – ذيوع الاستبداد ، ذيوعَ الأمراض المعدية .

6 – حصر الهمة في المنفعة الشخصية ، وتجاهل النفع العام .

وبعد أن شخّص الأمراض التي تعاني منها الأمة الإسلامية ، وصف العلاج لكل مرض مبتدئاً بـ"الأمل" ...[1] .

ومن دمشق اتجه النورسي إلى بيروت ، ثم عاد إلى استانبول بحرا ، واستأنف سعيه لتحقيق مشروع (جامعة الزهراء) ، حيث قابل السلطان (محمد رشاد)[2] ، وحصل منه ومن الحكومة العثمانية على وعد قاطع بإنجاز هذا المشروع ، غير أن اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914م) حال دون إتمامه[3] . .

وقد قام بديع الزمان بمعية لجنة من العلماء[4] بإصدار فتوى للجهاد بعد اندلاع الحرب العالمية ، بالرغم من أنه لم يكن من أنصار المشاركة فيها قبل بدايتها[5] ؛ لعدم تقدير جمعية الاتحاد والترقي لوضع الدولة ، ولقلة فهمها للأوضاع الدولية .

وتولت "التشكيلات الخاصة" طبع الفتوى ونشرها بجميع اللغات ، وتوزيعها في الدولة العثمانية وباقي أنحاء البلاد الإسلامية ، وعلى إثر ذلك رجع سعيد إلى (وان) ، وهناك شكّل فرقا مقاتلة – من طلابه ومن الأهالي – بدأت التدريب لمواجهة الجيش الروسي الزاحف على الحدود . وكان النورسي يشاركهم بنفسه في التدريب والإعداد ، ويحضهم بقوله : «تهيأوا واستعدوا . . إن زلزالا رهيبا على الأبواب»[6] .

---

(1) انظر : بديع الزمان النورسي : الخطبة الشامية(صيقل الإسلام) . ص : 491 وما بعدها .

(2) محمد رشاد(1844 . 1918 م) : هو السلطان الخامس والثلاثون في الدولة العثمانية ، جاء إلى الحكم بعد أخيه السلطان عبد الحميد ، وكان خاضعا لجمعية الاتحاد والترقي خضوعا كاملا .

(3) انظر : إحسان قاسم – ص 37 .

(4) وهم أعضاء في الاتحاد الإسلامي برئاسة شيخ الإسلام " خيري أفندي " ، كانت اللجنة تتكون من : 1 – خيري أفندي ، 2 – الشيخ صالح الشريف السنوسي(الواعظ بالولايات الشرقية) ، 3 – حمدي يازر ، 4 – محمد أسعد أفندي(كاتب نص الفتوى) ، بديع الزمان النورسي .(المرجع السابق – ص 148) .

(5) انظر : أورخان محمد علي : النورسي رجل القدر – ص : 60 .

(6) إحسان قاسم : بديع الزمان – ص : 39 .

وقد استطاعت قوات المتطوعين حماية الدولة العثمانية ضد عصابات الأرمن المتعاونة مع روسيا لفترة مهمة ، إلاّ أن اندفاع الجيش الروسي – المتفوق عددا وعدّة – تمكن من الزحف نحو الأناضول ، وأثناء التصدي لهذا الزحف وفي وسط الخنادق ألّف النورسي كتاب "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"(1) باللغة العربية .

وعند دخول الجيش الروسي مدينة ارخدوم في 16 شباط 1916 ثم دخول مدينة (بتليس) بقي النورسي وطلابه في قلعة المدينة يدافعون عنها وعن الأهالي ، وأثناء المعارك التي استهدفت ضمان الحماية لانسحاب الأهالي ، جُرح سعيد وانكسرت ساقه ؛ فسقط في بركة ماء متجمّد تحت أحد الجسور مع أحد طلابه .

حاول الروس استمالة النورسي ليُقنع العشائر الكردية بتسليم أسلحتها ، غير أنه لم يستجب لهم ، بل كانت مواقفه تترجم صلابته وشجاعته .

ففي أحد الأيام أثناء زيارة "نيقولا نيقولافيج" – وهو خال القيصر والقائد العام للجبهة – إلى معسكر الأسرى ، قام الجميع لأداء التحية إلا بديع الزمان ، الأمر الذي لفت نظر القائد العام فرجع مرة ثانية أمامه فلم يكترث سعيد ، وفي المرة الثالثة وقف غاضبا وجرت بينهما المحاورة التالية – بواسطة المترجم :

–أما عرفني؟

– بلى لقد عرفته . إنه نيقولافيج ، خال القيصر والقائد العام في جبهة القفقاس .

– فلم إذن قصد الإهانة؟

– كلاّ ، معذرة ؛ إنني لم أستهن به ، وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي .

– وماذا تأمر العقيدة ؟

– إنني عالم مسلم أحمل في قلبي إيمانا ؛ فالذي يحمل الإيمان في قلبه هو أفضل ممن لا يحمله ، فلو أنني قمت له احتراما ، لكنت قليل الاحترام لعقيدتي ، ولهذا لم أقم له .

– إذن فهو بإطلاقه صفة عدم الإيمان عليّ يكون قد أهانني ، وأهان جيشي وأهان أمتي والقيصر ، فلتشكل حالا محكمة عسكرية للنظر في أمره .

حاول بعض الأسرى المرافقين للنورسي إقناعه بالإعتذار للقائد الروسي ، لكنه رفض ذلك قائلا : «إنني راغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله ε ، فأنا بحاجة إلى جواز سفر فحسب للآخرة ، وأنا لا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني . . . » .

(1) هو كتاب في التفسير أملاه النورسي في جبهة القتال على تلميذه "الملا حبيب" .

وبموجب مادة إهانة القيصر والجيش الروسي ، أصدرت المحكمة حكمها بالإعدام على النورسي ، غير أنه لم ينزعج لهذا الحكم ، بل استقبله بابتهاج طالبا من الضابط المرافق له إلى ساحة الإعدام السماح له بعض الوقت للوضوء والصلاة .

وأثناء أدائه الصلاة ، حضر القائد الروسي بعد أن أيقن من صدق النورسي مع عقيدته ، فقال : «أرجو منك المعذرة ، كنت أظن أنك قمت بعملك هذا قصد إهانتي ، ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفذ ما تأمرك به عقيدتك وإيمانك ؛ لذا فقد أبطلت قرار المحكمة ، وإنني أهنئك على صلابتك في عقيدتك وأرجو منك المعذرة مرة أخرى»(1) .

هكذا كانت مواقف النورسي أثناء الأسر ، وهي مواقف تعبر صراحة عن شجاعته وقوة إيمانه ، وثباته على عقيدته . وقد استطاع – بعد عناء شديد – الفرار مستغلا أحداث الثورة البلشفية (1917) التي قوضت النظام القيصري .

(1) انظر تفاصيل الحادثة في كتابه : الشعاعات ترجمة : إحسان قاسم الصالحي ص : 571 – 572 .

تأثير الأسر في حياة النورسي :

يبدو أن الأسر – وما صاحبه من أحداث قاسية – قد ترك تأثيره في النورسي ، فجعله يؤثر العزلة ، ويستغرق في التأمل والتفكير والعبادة ، سعيا لمقاومة مختلف الضغوط النفسية(1) .

ولا خلاف على هول الأحدا ث التي شهدها العالم في هذه الفترة ، ولعل النورسي يصورها تصويرا بليغا حين يقول : «ومع أنني لم أكن أعدّ نفسي شيخا بعد ، فإن الذي يرى الحرب العالمية لابدّ أن يشيب ، حيث مرت أيام يشيب من هولها الولدان ، وكأن سرا من أسرار الآية الكريمة : يوما يجعل الولدان شيباً قد سرى فيها ، ومع أنني كنت قريبا من الأربعين ، فإنني وجدت نفسي كأنني في الثمانين من عمري . . .)(2) . .

وقد استغل النورسي فترة الأسر التي دامت أكثر من سنتين في مراجعة مسيرة حياته ، وتقييم أحوال العالم الإسلامي ، ويبدو أنه لم يكن راضيا عن مسيرته ولا عن أوضاع البلاد الإسلامية ، وهذا ما عمّق من حزنه وألمه ، فلم يجد مصرفا عن هذه المعاناة إلا في العبادة والتأمل في آيات القرآن الكريم .

بعد عودته إلى استانبول ، استُقبل بديع الزمان استقبالا بطوليا ، وكوفئ بتعيينه عضوا في دار الحكمة(3) ، إلا أنه لم يكن راغبا في هذه العضوية – على ماكان لها من مكانة اجتماعية – إذ تكرر غيابه عن الاجتماعات حتى طلب إعفاءه بحجة حاجته إلى الراحة بعد عناء الأسر(4) .

لكني لا أرجح أن مجرد الحاجة إلى الراحة كان السبب الوحيد في عزوف النورسي عن المشاركة في دار الحكمة ، وإنما أرى أن السبب الأهم هو الانقلاب النفسي الذي حدث له أثناء الأسر ، وجعله يرجع إلى نفسه وينكفئ

---

(1) انظر بديع الزمان النورسي : اللمعات – ترجمة إحسان قاسم – ص : 359 . 361 .

(2) بديع الزمان النورسي : اللمعات – ص : 360 .

(3) دار الحكمة : هي أكبر مجمع علمي في الدولة العثمانية آنذاك . كانت عضوية هذه المؤسسة توجه إلى العلماء البارزين فقط ، ومن أعضائها : الشاعر المعروف : "محمد عاكف" ، والعالم : "اسماعيل حقيّ ، والمفسر المعروف : "حمدي آلماللي" ، وشيخ الإسلام : "مصطفى صبري" . . .(انظر : إحسان قاسم : بديع الزمان . ص : 45) .

(4) المرجع السابق .

على ذاته ويقيّم منهجه ومسيرته ، يعترف النورسي – في هذا الصدد – بقوله : «إنه لشئ عجيب ، لقد كنت عضوا في دار الحكمة لأضمد جراح الأمة الإسلامية ، على حين كنت في نفسي مريضا أكثر من أي شخص آخر»(1) .

وبعد رحلة بحث طويلة مع الذات ، خَلُصَ النورسي إلى أن العلوم الفلسفية هي التي "لوثت روحه" ، و "أعاقت سموه المعنوي" ؛ لذا لجأ إلى القرآن الكريم ليتخلّص من تأثيرات تلك المسائل الفلسفية . ونكاد نلحظ هنا تماثلا كبيرا بين النورسي والغزالي(2) من حيث تطور التجربة الروحية لكليهما بحثا عن الحقيقة ، ولا غرابة في ذلك ؛ فبديع الزمان شديد الإعجاب بـ"أستاذه" الغزالي ، وهو قدوته في كثير من المجالات المعرفية ، لكن منهجي الرجلين لم يكونا سواءً ، لأسباب مختلفة سأعرض لها في مبحث لاحق . .

خرجت الدولة العثمانية منهكة القوى من الحرب العالمية الأولى ؛ إذ سقطت حكومة الاتحاديين ، وفُرضت على الدولة شروط قاسية ، تمّ بموجبها تسريح الجيش العثماني ، واحتلال مدن كثيرة ؛ فانجلترا احتلت مركز الخلافة (استانبول) ، ومدينة (إزميت) ، واحتل الأرمن مدينتي (قارص) و (أظنة) ، أما إيطاليا فسيطرت على (قوش آداسي) و (أنطاليا) ، و (بوردور) . واحتلت اليونان مدنا مهمة ، منها : (إزمير) و (باليكسير) ، و (باندرما) ، و (مودانيا) ، و (آيدن) ، و (إسكي شِهِر) ، و (آفيون) ، و (بورصة) ، و (أدرنة) . . .

وبعد الهدنة التي زادت من سيطرة الحلفاء ، اضطرت الدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة "سيفر"(3) ، التي كانت استسلاما شبه مطلق ، فأحس النورسي أن

---

(1) المرجع السابق . ولمعرفة تفاصيل هذه المرحلة الانتقالية من حياته –كما يرويها هو نفسه– انظر كتابه : اللمعات . ص : 366 .

(2) انظر : مبحث النورسي وموقفه من التصوف(مقارنة بين النورسي والغزالي) في الفصل الرابع من البحث .

(3) (معاهدة سيفر) : عُقدت بتاريخ (1920/8/10م) بين الدولة العثمانية(في عهد محمد السادس) وبين الحلفاء –عدا روسيا– في مدينة (سيفر) بفرنسا . كانت معاهدة جد قاسية ؛ إذ كان من أهم بنودها مايلي :

1 – توضع مضايق الدردنيل والبوسفور ، وبحر مرمرة ، والجزر المجاورة تحت إشراف لجنة دولية .
2 . تقتصر حدود الدولة العثمانية على الأناضول في قارة آسيا ، وعلى(استانبول) وما حولها في أوربا .
3 . تقوم في أرمينيا جمهورية مستقلة .
4 . يوضع ميناء(إزمير) تحت إشراف دولي ، أما مدينة(إزمير) وما حولها فتوضع تحت إشراف اليونان إلى حين إجراء استفتاء يحدد مصيرها بعد خمس سنوات .
5 . تقوم اليونان بالإشراف على إقليم(تراقيا) .
6 . تمنح(كردستان) الحكم الذاتي لمدة عامين .
7 . تنفصل الأقاليم العربية عن الحكم التركي .

وقد أصبح الإقتصاد العثماني تحت الإشراف الفعلي للحلفاء بواسطة القيود الكثيرة التي وضعتها

طعنة قوية قد وُجّهت الى العالم الإسلامي ، وشعر بصدمة هذه الأحداث ، فقال : «إنني أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية ، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني ، إنني أشعر بأن الطعنات التي وُجّهت إلى العالم الإسلامي كأنها وُجهت إلى قلبي أوّلا ، ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد ، ولكنني أرى نورا ينسينا هذه الآلام إن شاء الله تعالى»(1) .

لكن هذه الهزّة النفسية لم تفقده صوابه أو تثنه عن عزمه ، بل حركت فيه روح الأمل ، وجعلته يستبشر – في وقت مبكر – ببعث إسلامي جديد ، فالمصيبة التي ابتلي بها العالم الإسلامي لم تكن – في رأيه – شرا محضا ؛ لأنها عجّلت بعث الأخوة الإسلامية ، وأيقظت الشعور بالمصير الواحد ونبهت المسلمين جميعا إلى ما يهدد عقيدتهم ووجودهم(2) .

وقد بدأ النورسي تصديه للإنجليز وحلفائهم ، بتأليفه كتاب "الخطوات الست" سنة (1920م) ، حيث ردّ على الحرب النفسية التي حاول الاحتلال من خلالها أن يوهم الشعب المسلم أن انهزام الدولة العثمانية وانتصار الحلفاء عقاب رباني للمسلمين ، وقدر إلهي ليس لهم معه إلاّ التسليم المطلق ، وليس الإنجليز وأعوانهم سوى أدوات لتحقيق هذه الإرادة الإلهية .

فهاجم النورسي الإنجليز بلهجة عنيفة ، و ردّ شبهاتهم بأدلة مقنعة ، وبيّن أطماعهم الاستعمارية ، داعيا المسلمين إلى مقاومتها ، وإلى شدّ العزائم ومحاربة مشاعر اليأس والقنوط التي رافقت هزيمة الدولة العثمانية وتمزقها .

وعلى إثر عثور قوات الاحتلال على نسخة من كتاب " الخطوات الست " ، الذي كان يوزع سرّاً ، صدر حكم غيابي بالإعدام على النورسي ، غير أنه لم يتراجع ، وكانت مواقفه تعبيرا واضحا عن روح الاستعلاء والتحدي للمستعمر ؛ إذ عندما وظّف الإنجليز "كنيسة انجليكان" للشماتة بالمسلمين ، وطلبت الكنيسة من المشيخة الإسلامية الردّ على ستة أسئلة حول الدين الإسلامي في ستمائة كلمة ، وجّهت المشيخة الأسئلة إلى بديع الزمان ، فكان جوابه : «إن هذه الأسئلة لا يُجاب عنها بستمائة كلمة ، ولا بست كلمات ولا بكلمة واحدة بل ببصقة واحدة على الوجه الصفيق للإنجليزي اللعين»(3) .

وبالرغم من فداحة الهزيمة التي حلّت بالدولة العثمانية ، فقد قامت في الأناضول حركة مقاومة ضد الاحتلال ، ومع تنامي هذه الحركة واتساعها أصدر

المعاهدة . كما تضمنت المعاهدة بنودا حددت عدد الجيش العثماني ، وبنودا حول حماية الأقليات . (انظر :الكيلاني والصميدعي : تاريخ الدولة العثمانية . ص : 392) .

(1) اورخان – ص 85 .

(2) انظر : م . س – ص 86 .

(3) احسان قاسم . ص : 51 .

شيخ الإسلام آنذاك[1] – تحت ضغط المحتلين – فتوى ضد المقاومة ورجالها وصفتهم بأنهم عصاة ، إلا أن مجموعة من العلماء تصدّت لها وأيّدت مقاتلة المحتلين ، وكان مما قاله النورسي ردّاً على شيخ الإسلام : «إن فتوى تصدر عن مشيخة وإدارة هي تحت ضغط الإنجليز وإمرتهم ، لابدّ أن تكون غير سليمة ولا يجوز الانصياع لها ؛ ذلك لأن الذين قاموا بمقاومة احتلال الأعداء لا يمكن اعتبارهم عصاة ؛ لذا يجب سحب هذه الفتوى»[2] .

ونتيجة الدعم الكبير الذي تلقته المقاومة من الأهالي والضباط والجنود ، تقوّى مركزها في (أنقرة) بقيادة (مصطفى كمال أتاتورك) ، لكنه كان يخطط لإزاحة حكومة استانبول ، وقد تمّ له ذلك بعد فرار الخليفة (محمد السادس) إلى الأسطول الإنجليزي ، وتوقيع معاهدة (لوزان)[3] مع الحلفاء بدل معاهدة (سيفر) .

دُعي بديع الزمان إلى مركز المقاومة (أنقره) من قِبل أتاتورك للانضمام إليه ، لكنه رفض الدعوة ؛ لأنه أراد أن يجاهد من أخطر الأمكنة في مواجهة المحتل ، ومع تكرر الدعوات وإلحاح بعض الشخصيات المحبة له توجه النورسي إلى (أنقره) ، حيث أُقيم حفل في مجلس النواب تكريما له ، إلاّ أنه انزعج كثيرا لما رآه من انصراف النواب عن الدين وتركهم للصلاة ؛ لذا وجّه إليهم بيانا من عشر نقاط يذكرهم فيه بالإسلام ، ووجوب الالتزام بتعاليمه ، واستهله بقوله : «أيها المبعوثون . . . إنكم لمبعوثون ليوم عظيم» .

ترك هذا البيان تأثيرا واضحا في النواب ، إذ عقب إلقائه التزم ما يقارب ستين نائبا بالصلاة حتى ، إن مسجد بناية المجلس لم يعد يتسع للمصلين .

وتضايق (مصطفى كمال) من هذا البيان ؛ فاستدعى النورسي ليعاتبه قائلا : «لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك . لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة ، ولكن أول عمل قمت به هو الحديث عن الصلاة ، فكان أول جهودكم هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس» .

فأجابه بديع الزمان في حدّة : «باشا . . باشا . . إن أعظم حقيقة بعد الإيمان هي الصلاة ، وإن الذي لايصلي خائن ، وحكم الخائن مردود . . »[4] .

---

(1) عبد الله أفندي(1867 . 1923 م) : هو شيخ الإسلام الثامن والعشرون بعد المائة في الدولة العثمانية .

(2) احسان قاسم . ص : 52 .

(3) تخلت بموجبها تركيا عن جميع حقوقها في سوريا وفلسطين والعراق ومصر والسودان والجزيرة العربية وقبرص . وعيّنت حدودها شملت ضمن البنود السرية إلغاء الخلافة وإعلان العلمانية .(انظر : أورخان محمد : النورسي . ص : 98) .

(4) المرجع السابق – ص 101 .

وعلى إثر ذلك حاول أتاتورك إبعاده إلى شرق الأناضول بحجة تعيينه واعظا عاما لكردستان ، لكنه رفض ، وظل في أنقرة يكتب ويؤلف الرسائل في إثبات وجود الله وترسيخ العقيدة ، والردّ على الانحراف الجديد الذي ظهر نتيجة موجة الشك والإلحاد التي تسربت إلى المسؤولين والموجَّهين بالمذاهب المادية الغربية .

ورسالة (الطبيعة) التي ألفها في هذه الأثناء تصف بوضوح الأحوال التي دفعته إلى مجابهة أرباب الاتجاه الإلحادي والمسلك الذي اتبعه لتحقيق هدفه ، يقول النورسي : «فجئت – ضمن هذه الرسالة – ببرهان قوي حاد قاطع ، يقطع رأس تلك الزندقة ويدحرج أشلاءها ، وقد صنفتها بالعربية ، واستقيت معانيها وأفكارها من نور هذه الآية الكريمة {قَالَت رُسُلُهُم أَفِي اللَّهَ شَكٌّ فَاطِرِ اَلسَّمَوَاتِ وَالأَرضَ} [إبراهيم : 10] ، لإثبات بداهة وجود الله سبحانه ووضوح وحدانيته . . .»(1) .

إن سلسلة الهزائم التي لحقت بالعالم الإسلامي شرقا وغربا ، وتحول بعض المنتسبين إلى الإسلام إلى أعداء له ، كل هذا جعل بديع الزمان يشعر بإحباط شديد ؛ فقرر مغادرة (أنقرة) إلى (وان) ، ولعل هذا الإحباط يترجمه آخر حديث له مع مصطفى كمال الذي انكشف اتجاهه المعادي للدين ، وبدأ بنصب تماثيل له في مختلف المدن ، يقول النورسي : «إن هجوم آيات قرآننا العظيم إنما ينصب على التماثيل ، أما النصب التذكارية التي يجب على المسلمين إقامتها ؛ فهي المستشفيات ، والمدارس ، وملاجئ الأيتام ، والأقسام الداخلية للطلبة ، و دور العبادة ، وشقّ الطرق . . . »(2) .

لقد فقدَ النورسي الأمل في رجال السياسة والفكر ، واقتنع أن إصلاح الأوضاع يحتاج إلى بناء جديد ، تكون قاعدته الأساسية جيلا قرآنيا مسلحا بعقيدة سليمة راسخة .

بعد ثمانية أشهر في (أنقرة) رجع النورسي إلى (وان) ، ليقضي جل وقته قرب إحدى الخرائب المهجورة على جبل (أرك) في التفكير ، والتأمل ، وتدريس جماعة صغيرة من الطلاب ، لكنه تألم كثيرا لما حل بمدينته من خراب ولما فقدَ من أقارب وأصدقاء ؛ إذْ دمّر الروس والأرمن بيوت المسلمين في المدينة كليا ، ولم تبق إلاّ محلة للأرمن .

وأمام هول هذه الأحداث اختار النورسي أن يدخل في مجاهدات نفسية ، سعيا للوصول إلى الصفاء الروحي ، وتمهيداً لمواجهة مرحلة جديدة من حياته .

---

(1) بديع الزمان النورسي : اللمعات . ص : 266 .

(2) اورخان – ص 106 – نقلا عن نجم الدين شاهين ار .

النورسي وموقفه من ثورة الشيخ " سعيد البيراني " :

أثار اتجاه أتاتورك وحكومته المعادي للدين السخط والنقمة بين أوساط الشعب ؛ لذا قامت حركات تمرد ضد السلطة ، كان أهمها حركة سعيد البيراني عام (1925م) ، وهو زعيم للعشائر الكردية .

وتذكر بعض المصادر(1) أنه تمت مراسلات بين سعيد البيراني وبديع الزمان ، من أجل قيام هذا الأخير بدعم الثورة المسلحة ، نظرا لماكان له من تأثير وسط العشائر الكردية ، ولاسيما بمدينة (وان) .

وتضيف هذه المصادر أن النورسي رفض رفضا قاطعا ، ناسبةً إليه أقوالا مختلفة في سبب التحذير من الإقدام على الثورة أو التفكير فيها(2) .

لم تختلف المصادر على عدم مشاركة النورسي في ثورة عام (1925م) ، وإنما الخلاف بينها في سبب عدم المشاركة . فأكثر المصادر ذكرت أن إحجامه عن المشاركة راجع إلى معارضته مبدأ الثورة ذاته الذي ينجم عنه قتل الأخ لأخيه ، في حين ينفي الأستاذ عزالدين يلدرم(3) هذا القول ، ويعدُّ الرسالة التي – زُعم أنها أُرسلت من بيران إلى النورسي – غير صحيحة . ويضيف قائلا(4) : «صحيح أن النورسي لم يشارك في ثورة بيران ضد كمال أتاتورك ، ولم يكن موافقا على اندلاعها آنذاك ، والسبب ليس كما زُعِمَ ، وإنما لأن النورسي كان يرى أن الطرفين غير متساويين ؛ فالثوار –في رأيه– لا يملكون القوة اللازمة لثورتهم ، فإذا ما أعلنوا الثورة ، فإن خسارة كبيرة سيتكبدونها . أما الكلام المنسوب إلى الأستاذ بديع الزمان الذي جاء في كتاب الأستاذ "إحسان قاسم" ، وكتاب "نجم الدين شاهين أر" ، فلا أساس له من الصحة إطلاقاً ، والنورسي لم يقله قط ، وإنما نُسِبَ له من دون دليل .

ولعل الرجوع إلى ماسطره النورسي في الرسائل خير شاهد على رأيه ومنهجه وطريقة تفكيره في مثل هذه القضايا ، ذلك أنه يرى مجرد السكوت على الظلم أمراً غير مقبول ، ويستشهد بثورة الحسين – رضي الله عنه –على ظلم الأمويين ، يقول : "لا . . فإذا رفع التحكم رأسه ، سَلّ حسين (رضي الله عنه) سيف الحرية الشرعية وأحاله على عاتقه ، لكن الجهل والوحشة اللذين هما ركنا الاستبداد

---

(1) من هذه المصادر : نجم الدين شاهين أر(حياة بديع الزمان) ـ إحسان قاسم :(بديع الزمان) ـ اورخان على .

(2) انظر : نجم الدين شاهين أر : حياة بديع الزمان ـ ص : 254 ـ 255 .

(3) عز الدين يلدرم : في الخمسين من عمره ، أحد قادة طلبة النور ، قضى فترة طويلة في الحركة ، لكنه استقل عنها سنة(1990م) لاختلافه مع المسؤولين حول كثير من القضايا ، ولاسيما في المجال السياسي ، وقد أسس جماعة جديدة تحمل اسم : "مدرسة الزهراء" ، مركزها باستانبول .

(4) في مقابلة لي معه بتاريخ 1995/8/24م .

وعراقه ، هجما من جوانب العالم لإمداد استبداد "يزيد" في كربلاء ، فأحرق قلب الحق والعدالة عطشا[1]" .

إن النورسي لم يهادن للحظة واحدة نظام أتاتورك ، لكنه افتقر إلى الوسائل المادية لمقاومته» .

والذي أراه أن عدم مشاركة النورسي في هذه الثورة يرجع في الأساس إلى الإحباط الشديد الذي أُصيب به بعد هزيمة العالم الإسلامي ووقوعه تحت الاستعمار ، ثم الانحراف الكبير الذي أصبح يقوده من ينتسبون إلى الإسلام ، وهو انحراف استهدف القضاء على العقيدة والترويج للمذاهب المعادية للدين ؛ الأمر الذي جعل بديع الزمان يؤوب إلى ذاته بحثا عن وسيلة مجدية لإصلاح هذه الأوضاع .

ويبدو أن حاجة بديع الزمان إلى تقييم شامل لواقع العالم الإسلامي برزت قبيل مغادرته (أنقرة) ، بعدما رأى الحال الذي آلت إليه الدولة العثمانية ، وبعد أن تأكد من وجود تيارات جارفة تعادي الإسلام وقيمه .

يصور النورسي حالته في أيامه الأخيرة بـ (أنقرة) ، حيث صعد إلى إحدى القلاع القديمة في فصل الخريف ، يقول : «فتمثلت تلك القلعة أمامي كأنها حوادث تاريخية متحجرة ، واعتراني حزن شديد وأسى عميق من شيب السنة في موسم الخريف ، ومن شيبي أنا ، ومن هرم القلعة ، ومن هرم البشرية ، ومن شيخوخة الدولة العثمانية العلية ، ومن وفاة سلطنة الخلافة ، ومن شيخوخة الدنيا ؛ فاضطرتني تلك الحالة إلى النظر من ذروة تلك القلعة المرتفعة إلى أودية الماضي وشواهق المستقبل ، أنقب عن نور ، وأبحث عن رجاء وعزاء ينير ماكنت أحس به من أكثف الظلمات التي غشيت روحي هناك ، وهي غارقة في ليل هذا الهرم المتداخل المحيط»[2] .

وهكذا قرر النورسي الرجوع إلى (وان) ، لينزوي في قمة جبل (أراك) ليمضي أغلب أوقاته في التأمل والتفكير والتدريس .

غير أن هذه العزلة التي اختارها النورسي لم تعفه من تحمل تبعات ثورة (بيران) إذ عقب فشل الثورة[3] قامت الحكومة باعتقال زعماء العشائر الكردية

---

(1) سعيد النورسي ، آثار بديعية- تحقيق : عبد القادر بادللي ص607 ، وفي موضع آخر يتحدث النورسي عن ثورة عبد الله بن الزبير ضد الأمويين(المكتوبات . ص131) فإذا كان النورسي يقف هذا الموقف من حكام الأمويين الذين ظلموا ولكنهم لم يتجرأوا على إنكار معلوم من الدين بالضرورة ، ويشيد صراحة بهؤلاء الشهداء في سبيل قول الحق ، فكيف يمكن أن نتصور موقفه من دولة أنكرت صراحة أسس الدين وضرورياته ، وهل يعقل أنه يعادي من قام لمحاربة هذا النظام الصريح في معاداته للدين؟! . .

(2) بديع الزمان النورسي : اللمعات . ص : 351 .

(3) تمّ القضاء على هذه الثورة في(15 . 4 ، 1925م) ، وقُدِم سعيد بيران وسبعة وأربعون من

ونفيهم إلى أماكن أخرى حتى يظلوا تحت المراقبة .

سيق النورسي من الجبل الذي كان يتعبد فيه إلى استانبول ، فمكث بها عشرين يوماً ، ثم نُقل إلى مدينة (بوردور) ، وظل منفياً فيها لمدة سبعة أشهر تفرغ خلالها للعبادة والتأليف ، فكتب رسالة (المدخل إلى النور) ، وهي دروس قرآنية مخطوطة أصبحت تتداول بين طلابه . ومن (بوردور) نُقل إلى أسبارطة ، ومكث بها عدة أشهر إلى أن تقرر نفيه إلى (بارلا)[1] .

في شتاء عام (1926م) وصل بديع الزمان إلى منفاه في (بارلا) (Barla) ، وهي بلدة صغيرة تابعة لنواحي اسبارطة ، اختارتها السلطات لتتخلص من معارضة النورسي للتيار المعادي للدين ، غير أن النتيجة جاءت مخالفة لما خطط له الحكام ، إذ غدت (بارلا) – وهي المنطقة النائية – مركز الإشعاع الأول لدعوة النور ، حيث أنجز فيها القسم الأكبر من مؤلفاته التي سماها : «رسائل النور» فكان منها رسائل : (الكلمات) (Sozler) ، والمكتوبات (Mektubat) ، واللمعات (Lemaler) ، وركزت كلها على بيان حقائق الإسلام ، ومحاربة التيارات الإلحادية ، ودعوة المسلمين إلى المحافظة على عقيدتهم[2] . .

وخلال مدة النفي في (بارلا) التى دامت ثماني سنوات ونصف سنة ، استطاع النورسي أن يكسر طوق العزلة ، فعلى رغم مراقبة السلطات له ، تعرف عليه بعض شباب البلدة [3] ، وبتوالي اللقاءات أصبح هؤلاء الشباب من أخلص طلبة النورسي ؛ إذ أخذوا على عاتقهم مهمة استنساخ رسائل النور بمئات الآلاف من النسخ ، وتوزيعها سراً في أرجاء تركيا كلها ، متحملين تبعات هذا العمل من اعتقال ومطاردة وتعذيب عن طيب خاطر واطمئنان نفس[4] .

وفي الوقت الذي بدأت تتسع فيه دائرة رسائل النور ، وتجمع حولهاالآلاف من الشباب ، والموظفين ، والتجار ، وغيرهم أصدرت الحكومة أمراً بمنع الأذان بالعربية عام (1931م) ، وأصبح يردد باللغة التركية . وبسبب عدم تنفيذ بديع الزمان ومجموعة من طلابه هذا القرار قامت السلطات في (بارلا) بنفيهم إلى

أنصاره إلى المحكمة التي أصدرت في حقهم أحكاماً بالإعدام . ونفذ الإعدام في(29 . 6 ، 1925م) بمدينة(ديار بكر) ويروى عن الشيخ سعيد بيران أنه ظل محتفظاً برباطة جأشه حتى آخر لحظة ، وأنه خاطب رئيس المحكمة الذي حكم عليه بالإعدام بقوله : «سوف نصفي حسابنا يوم الحساب الأخير» ، وقال للقائد العسكري : «تعال يا أمير اللواء وودع عدوك» . ثم وضع حبل المشنقة حول رقبته ولم يقل شيئاً .(انظر : سليم الصويص المحامي : أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة . ص270) .

(1) انظر : نجم الدين شاهين أر : حياة بديع الزمان وجوانبها المجهولة . ص 258 .

(2) انظر : محسن عبدالحميد : النورسي متكلم العصر الحديث . ص : 30 .

(3) انظر : بديع الزمان سعيد النورسي : اللمعات . ص : 377 .

(4) انظر : إحسان قاسم الصالحي : بديع الزمان سعيد النورسي . ص : 69 .

(إسبارطة) .

النورسي في إسبارطة :

وفي إسبارطة استمر النورسي في تأليف رسائله إلى غاية سنة (1935م) ، حيث بدأت موجة اعتقالات لطلبة النور شملت مائة وعشرين طالباً ، كما طالت النورسي نفسه ، وسيق الجميع إلى سجن مدينة (اسكي شهر) ، بانتظار محاكمتهم لاتهامهم بمايلي :

1 . تأليف جمعية سرية .

2 . السعي لهدم أسس الثورة الكمالية .

3 . تشكيل طريقة صوفية في الوقت الذي منعت فيه الحكومة هذه الطرق .

4 . إثارة روح التدين بنشر رسالة التستر (الحجاب) التي تدعو النساء إلى الاحتشام والتستر واتباع توجيه الإسلام ، وقد عدت الحكومة هذه الرسالة عملاً ضد قانون (الزي)(1) .

وعلى إثر ذلك وُضع النورسي – أولاً – في سجن انفرادي بهدف الضغط عليه وتحطيم روحه المعنوية ، إلا أنه استمر في التأليف ؛ فألف هناك : (اللمعة الثامنة والعشرين) ، و (اللمعة التاسعة والعشرين) ، و (اللمعة الثلاثين) ثم (الشعاع الأول) ، و (الشعاع الثاني) .

ولم يقتصر نشاطه على التأليف ، وإنما كان يدعو كثيراً من المجرمين أثناء اتصاله بهم ، فاهتدوا على يديه واستقاموا على الطريق المستقيم(2) .

وبعد فترة من اعتقاله قدم بديع الزمان للمحاكمة ، فتولى الدفاع عن نفسه وألقى دفاعاً مشهوراً أورد هنا جزءاً منه :

لقد جئ بي إلى هنا بتهمة أنني شخص رجعي اتخذ الدين سبيلاً إلى الإخلال بالأمن العام ، وإنني أقول لكم : إن إمكانية عمل شئ لايستدعي وقوعه ولا المعاتبة عليه ، فعود الكبريت يمكنه إحراق بيت ، ولكن الإمكان لا يعني ارتكاب أي جريمة .

إن ولاة الأمور إنما ينظرون إلى اليد لا إلى القلب ، وهناك في كل قطر وفي كل مكان معارضون شديدون للحكومة لايتدخلون في شؤون الإدارة والأمن . حتى إنه في عهد سيدنا عمر – رضى الله عنه – لم يُمس النصارى بشئ مع أنهم كانوا ينكرون الإسلام وقوانين الشريعة . وعلى هذا واستناداً إلى مبدأ

---

(1) انظر : اورخان – ص 180 .

(2)انظر احسان الصالحي : بديع الزمان – ص 79 – واورخان محمد علي : رجل القدر ص 181 .

حرية الفكر والوجدان إذا كان بعض طلاب النور يرفضون نظمكم ومبادئكم ، وينتقدونها على أساس علمي نقداً بناء ، أو إن صدرت منهم أعمال وتصرفات لاتتفق وتلك المبادئ بما في ذلك إضمار العداء لأولي الأمر ، فليس من حق القانون أن يحاسبهم على ذلك بشرط واحد ، وهو : أن لايتدخلوا في الشؤون الإدارية وألا يخلوا بالأمن والنظام .

إن انشغالي بعلوم الإسلام لا يخدم إلا رضى الله تعالى ، وحاشا أن يخدم أي غرض كان غير ذلك لقد سألتم : هل أنا ممن ينشغل بالطرق الصوفية؟ .

إنني أقول لكم : إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان ، لاحفظ الطريقة . إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الإنتماء إلى طريقة صوفية ، ولكن أحداً لا يدخل الجنة بغير إيمان .

وتقولون : من أين تأتي بالمال لجمع الناس من حولك في جمعية؟ .

وإنني أسأل هؤلاء : ومن أين لهم الوثائق التي أثبتوا بها أنني اشتغلت بجمعية أو قمت بأي نشاط يحتاج إلى المال؟ .

وتعترضون قائلين : إنني لست موظفاً فيما أعمل فيه . وللتدريس مديرية خاصة ينبغي أن أتلقى الإذن منها أولاً .

ولكن أقول لكم : لو أن أبواب القبور كلها أغلقت ، وأعدم الموت من الوجود ، لجاز أن ينحصر الإذن في دائرتكم . أما وإن ثلاثين ألف جنازة تنادي كل يوم نداء الموت ، وتوقع على حكمه ، فإن هذا يعني أن ثمة وظائف وواجبات أخرى أهم كثيراً مما انحصر في دائرتكم وأحكامكم[1] .

وفي نهاية هذا الدفاع لم تعثر المحكمة على ما يدين النورسي ، إلا رسالته عن الحجاب ، فحكمت عليه بأحد عشر شهراً .

بعد أن قضى بديع الزمان مدة الحكم في سجن (اسكي شهر) ، نفي إلى مدينة (قسطموني) سنة (1936م) دون أن يوجه إليه أي اتهام . وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية في بيت مقابل لمركز الشرطة لمدة سبع سنوات ، أنجز خلالها قسماً من رسائل النور ، حيث كتب : (الشعاع الثالث) الذي هو رسالة (المناجاة) ، و (الشعاع الرابع) ، و (الشعاع الخامس) ، و (الشعاع السادس) ، و (الشعاع السابع) و (الشعاع الثامن) ، و (الشعاع التاسع) .

وقد استطاع طلابه نشر هذه الرسائل بسرعة كبيرة ، فوصلت إلى كل مدينة وقرية من أنحاء تركيا[2] الأمر الذي سبب مصدر إزعاج للحكومة ، فحاولت التخلص منه بواسطة دس السم له في الطعام في أغسطس عام (1943) ، حيث

---

(1) نجم الدين شاهين أر : حياة بديع الزمان ، ص : 303 .

(2) بلغ عدد النسخ المتداولة ستمائة الف نسخة ، وقد جمعت هذه الرسائل فيما بعد في مؤلف واحد تحت عنوان «ملحق قسطموني» . انظر : بديع الزمان النورسي : ملحق قسطموني (ضمن كتاب الملاحق . ص : 97 وما بعدها) .

أصيب بحمى شديدة ، لكنه نجا من الهلاك ، فقامت الشرطة بمداهمة منزله في (1943/8/31) ، وبعد تفتيشه لم تعثر إلا على بعض الرسائل التي تتناول قضايا العقيدة والأخلاق . . .

وبعد أيام قليلة عاودت الشرطة مداهمة بيته على أمل أن تجد ما يدينه ، فلم تعثر إلا على بعض الكتب الدينية ، وبالرغم من ذلك ألقت عليه القبض في (1943/9/18) مع ستة وعشرين ومائة من طلابه ، وساقتهم إلى (أنقرة) للتهم السابقة ذاتها ، وهي تكوين جمعية سرية ومحاولة قلب نظام الحكم(1) .

النورسي أمام محكمة «دنيزلي» :

نُقل النورسي وطلابه من (أنقرة) إلى (اسبارطة) ، ثم إلى (دنيزلي) فى عام 1934 ليمثل أمام محكمتها . وتمهيدياً للمحاكمة شكلت السلطات لجنة للتدقيق في «رسائل النور» ودراستها . وبعد دراسة متأنية لجميع الرسائل ، أصدرت اللجنة تقريراً يبرئ النورسي ومؤلفاته ، ومما جاء فيه : «ليس لبديع الزمان فعالية سياسية ، كما لا يوجد أى دليل على أنه يؤسس طريقة صوفية أو قام بإنشاء أية جمعية . وإن موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية والإيمانية ، وهي تفسير للقرآن الكريم »(2) .

وأثناء إقامته في (أميرداغ) تحت المراقبة ، لاحقته المضايقات وبلغت ذروتها بمحاولة تسميمه ، حيث دُس له السم في الطعام ، فقضى أياماً على فراش المرض ، ومُنع من أداء صلاة الجماعة في المسجد حتى لا يختلط بالناس (3) .

غير أن كل الاجراءات التى اتخذت ضده ، لم تمنع رسائل النور من الانتشار(4) ، والتأثير في مختلف طبقات الشعب ، الأمر الذي حدا بالسلطة إلى إصدار أمر جديد باعتقاله ، حيث داهمت الشرطة منزله في (1948/1/23م) ، ومنازل مجموعة من طلابه في مدن مختلفة ، وساقتهم إلى سجن مدينة (افيون) في انتظار مثولهم أمام المحكمة بالتهم السابقة نفسها .

---

(1) انظر : أورخان محمد على : رجل القدر . ص : 198 .

(2) إحسان قاسم الصالحي : بديع الزمان سعيد النورسي ص 89 . نقلاً عن(تقارير الخبراء حول رسائل النور وبديع الزمان . 1 / 126) .

(3) انظر احسان قاسم – ص 95 .

(4) يقول النورسي في رسالة طويلة وجهها إلى مسؤول الأمن بعد ازدياد المضايقات عليه : «ولكنى أقول : إنه مما يعوضني عن عشرة من الناس يحال بيني وبينهم أن مليوناً من المسلمين يعكفون على دراسة رسائل النور التي انتشرت فيما بينهم ، إنهم إن استطاعوا أن يسكتوني بين الناس ، فلن يستطيعوا إسكات رسائل النور التي تصل إلى شغاف القلوب . . إن كل نسخة منها تقوم مقامي في الكلام والبيان ولن تسكتها أي قوة كانت على الأرض» المرجع السابق – 97 .

وبعد جلسات متكررة أصدرت المحكمة حكمها بسجن بديع الزمان لمدة عشرين شهراً ، كما حكمت على طلابه بسجنهم لفترات مختلفة . واعترض النورسي على الحكم في محكمة التمييز التى قضت ببطلان الحكم استناداً إلى ما أصدرته محكمة (دينزلى) ، لكن المماطلة في إجراءات إطلاق سراحه ، لم تسمح له بالاستفادة من حكم البراءة ، فقضى في السجن عشرين شهراً ، وهي مدة الحكم الأول(1) .

وبالرغم من الظروف القاسية التي عاشها النورسي في سجن (افيون) فإنه واصل تأليف رسائله(2) ، وتسريبها إلى طلابه الذين نقلوها إلى الخارج ، كما واصل دعوة السجناء الذين تابوا على يديه ، وأصبحوا من أخلص (طلاب النور)

(1) انظر : اورخان على – ص 234 .

(2) ألف في سجن(أفيون) : رسالة «الحجة الزهراء» وهو الشعاع الخامس عشر .(انظر : بديع الزمان الشعاعات . ترجمة إحسان قاسم . ص : 626 .

نهاية الرحلة

تنقسم حياة النورسي إلى ثلاث مراحل متميزة :

1 . مرحلة سعيدالقديم :

وتبدأ من السنوات المبكرة لشبابه حتى نفيه إلى (بارلا) سنة (1926م) ، وخلال هذه المرحلة حاول النورسي خدمة الإسلام عن طريق الانخراط في الحياة السياسية ومحاولة التأثير فيها ، وذلك بدعوته إلى الإصلاح السياسي والتعليمي في عهد السلطان عبد الحميد ، وإلقائه الخطب في الجوامع والساحات ، ونشره المقالات السياسية العنيفة في جريدة «وولقان» ، ومحاولته استمالة رجال الاتحاد والترقي وتسخيرهم لخدمة الإسلام ، وتصديه للتيارات المعادية للدين .

لكن انتقال بديع الزمان من المرحلة الأولى إلى الثانية لم يكن سريعاً ؛ إذ مرّ بمرحلة انتقالية(1) دامت أكثر من ثماني سنوات (أي : من فترة وجوده في الأسر (1917م) حتى نفيه إلى (بارلا) (1926م) ، وهي المرحلة التي شهدت أخطر التحولات في الدولة العثمانية ، حيث لفظت آخر أنفاسها وأعقب ذلك هجوم قوي على عقيدة الإسلام ونظمه .

2 . المرحلة الثانية : سعيد الجديد :

وهي تبدأ من وصوله منفياً إلى (بارلا) سنة (1926م) ، وتستمر إلى غاية خروجه من سجن (آفيون) سنة (1949م) .

وفي هذه المرحلة اتبع النورسي منهجاً جديداً ، اشتركت في تحديد معالمه عدة عوامل ، كان أهمها : التحولات السياسية التي عرفتها تركيا والعالم الإسلامي ، والتحولات النفسية التي رافقت تلك الأحداث ، حيث رأى النورسي عقم الأسلوب السياسي ، خاصة بعد انعدام الحرية واتساع موجة العداء للدين ، فوجه جميع جهوده لتجديد أمر الدين ، وبناء العقيدة السليمة القادرة على دعم البناء الإسلامي وإسناده .

وفي الواقع لم يكن أمام النورسي في تلك الظروف – ظروف السجن والنفي – إلا سلوك هذا النهج لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، ولعل أسلوبه الهادئ الذكي جرد السلطة من أي حجة لضرب حركته بالرغم من المحاكمات المتعاقبة التي أقحم فيها .

---

(1) توضح "رسالة الشيوخ" هذه المرحلة الانتقالية بالتفصيل ، وأقتطف منها هذه الفقرة القصيرة :(حينما تبدلت نشوة «سعيد القديم» وابتساماته إلى نحيب «سعيد الجديد» وبكائه ، وذلك في بداية المشيب ، دعاني أرباب الدنيا في «أنقرة» إليها ، ظناً منهم أنني «سعيد القديم» فاستجبت للدعوة» . بديع الزمان النورسي : اللمعات . ص : 351 .

3 . المرحلة الثالثة : (سعيد الثالث) :

تبدأ من وقت خروج النورسي من سجن (آفيون) سنة (1949م) إلى غاية وفاته سنة (1960م) وفي هذه الفترة شهدت تركيا تطورات سياسية مهمة ؛ إذ بعد سيطرة نظام الحزب الواحد[1] على الحياة السياسية منذ الاستقلال حتى سنة 1950 ، تم السماح بتشكيل الأحزاب ، فكان أقوى حزب معارض : "الحزب الديمقراطي" الذي شكله (جلال بايار) و (عدنان مندريس) واستطاع الفوز في انتخابات (عام1950م)[2] .

ومع وصول الحزب الديمقراطي للحكم خفت موجة العداء للدين ، وسمح لأول مرة لرسائل النور بالطبع ، وللنورسي بالتدريس الجماعي والحركة المقيدة .

واستجابة لهذه التطورات شرع النورسي في توجيه الرسائل إلى السياسيين ورجال الحكم يدعوهم فيها إلى اتباع الإسلام والالتزام بتعاليمه ، إلا أن جل همه ظل مركزاً على التربية والتكوين ونشر رسائل النور وإنشاء جيل جديد .

المرحلة الأخيرة من حياة النورسي :

بعد خروجه من السجن سنة (1949م) ، مكث النورسي (بأفيون) لمدة شهرين ، ثم توجه مع بعض طلابه إلى (أميرداغ) ، حيث أقام هناك سنتين انتهز فيها صدور قرار المحكمة بتبرئة (رسائل النور) وعدم معارضتها للقانون ، فقام بمعية طلابه بطبع آلاف النسخ منها على جهاز السحب (الرونيو) وتوزيعها على أنحاء البلاد[3] .

وفي سنة (1951م) ، توجه إلى مدينة (إسكي شهر) ، وكانت هذه أول زيارة حرة له منذ سنين كثيرة حيث التقى بطلابه القدامى والجدد ، ومكث شهراً ونصف شهر يستقبل الزوار الذين وفدوا لزيارته دون انقطاع[4] .

ثم سافر إلى مدينة (اسبارطة) ، وهناك طبع طلبة النور رسالة «مرشد الشباب» بالحروف اللاتينية ، الأمر الذي أثار الاتجاهات المعادية للدين في الحكومة ، فرفعت ضده دعوى متهمة إياه بمخالفة المادة (163) من الدستور التركي[5] ، التي تحظر أي نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية ، فاستدعي للمثول أمام المحكمة باستانبول سنة (1952م) بعد غياب عنها دام سبعة وعشرين عاماً .

لكن المحاكمة انتهت بإعلان براءته فغادر (استانبول) إلى (اميرداغ) ،

---

(1) وهو حزب الشعب الجمهورى الذى نظمه(مصطفى كمال) ، وخلفه فيه(عصمت اينونو) .
(2) انظر : محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة . ص : 354 .
(3) انظر : أورخان محمد علي : النورسي رجل القدر . ص : 249 .
(4) انظر : إحسان قاسم الصالحي : بديع الزمان سعيد النورسي . ص 106 . 107 .
(5) انظر : أورخان – ص 261 .

حيث تعرض لمضايقات جديدة(1) ، فأرسل عريضة إلى وزارتي العدل والداخلية يستنكر فيها تلك المضايقات ونتيجة لقيام بعض طلابه بنشر العريضة في جريدة «الجهاد الأكبر» بمحافظة (صامسون) ، سنة (1953م) ، تمّ اعتقال المدير المسؤول عن الجريدة وأحد طلاب النور ، إلا أن المحكمة برأت ساحتهما ، كما برأت بديع الزمان في القضية المرفوعة ضده بسبب نشره مقالة في الجريدة نفسها ، بعنوان : (أكبر برهان) ، إذ رأت أنه لا يوجد في المقالة ما يوجب العقاب(2) .

قامت محكمة (آفيون) سنة (1948م) بتشكيل لجنة خبراء لدراسة محتويات (رسائل النور» وإبداء الرأي حولها من الناحية القانونية ، وبالرغم من أن هذا التدقيق دام فترة طويلة ، فإن اللجنة انتهت سنة (1956م) إلى إصدار تقرير يفيد أن الرسائل تخلو من أي عنصر مخالف للقانون ، واستناداً إلى هذا التقرير ، بدأ النورسي بنشر رسائله في أنحاء تركيا كما قدمنا . وإذ ذاك شعر النورسي أن مهمته قد أنجزت ، فقال :

«هذا هو عيد رسائل النور كنت أنتظر مثل هذا اليوم ، لقد انتهت مهمتي ، إذن فسأرحل قريباً» .

لقد كانت تبرئة (رسائل النور) نتيجة للتغييرات في الساحة السياسية آنذاك ، هذه التغييرات التي جعلت النورسي نفسه يشارك في انتخاب عام (1957) ، حيث أعطى صوته إلى «الحزب الديمقراطي» ودعا طلابه إلى تأييده ، ليس لأن هذا الحزب كان ذا اتجاه إسلامي ، وإنما لكونه أقل ضرراً من «حزب الشعب»(3) .

أقام النورسي في أواخر أيامه بمدينة (اسبارطة) ، وبالرغم من تقدمه في السن ، وسوء حالته الصحية ، كان يقوم بزيارات لبعض المدن التي ينتشر فيها طلابه ، مثل : (بارلا) و (أميرداغ) ، ويتابع ما يجرى في العالم الإسلامي .

لكن كثرة تنقلاته بين المدن ، أزعج الأوساط المعادية له في السلطة ، فشنت عليه صحفها حملة عنيفة ، لإثارة الرأي العام ضده ، والتهويل من دعوته .

فما أن وصل إلى أنقرة في (1960/1/11م) حتى أبلغته الحكومة أن

---

(1) تعرض له بعض أفراد الشرطة محاولين إرغامه على لبس القبعة ، وبعد رفضه اقتادوه إلى مركز الشرطة .

(2) انظر : اورخان – ص 262 .

(3) بعد تولي «الحزب الديمقراطي» الحكم سنة(1950م) أشاع جواً من الحرية ، حيث أعاد الأذان الشرعي بالعربية ، وسمح بتدريس الدين الإسلامي في المدارس بعد أن كان ممنوعاً في عهد «حزب الشعب» ، وفتح مدارس الأئمة والخطباء ، فانحسرت موجة العداء للإسلام إلى حد ما .

يستقر في (أميرداغ) ، فتوجه إليها ، وأصبح يتنقل بينها وبين (اسبارطة) فقط .

وفي شهر رمضان من عام (1379هـ) (1960م) مرض النورسي مرضاً شديداً حتى فقد وعيه مرات ، إلا أنه في الثامن عشر من الشهر ذاته استدعى طلابه وودعهم واحداً واحداً ، قائلاً : «استودعكم الله ... إني راحل» ثم توجه إلى اسبارطة ، حيث اشتد عليه المرض ، وبالرغم من ذلك ألح على طلابه بالذهاب إلى (أورفة) ، وعند وصوله بتاريخ (1960/3/21م) ، أقام في الفندق يوماً واحداً ، ثم حاصرته الشرطة ؛ لأن الحكومة لم تصرح له بالتنقل خارج (أميرداغ) أو (اسبارطة) وبعد إبلاغ المسؤول له بوجوب عودته إلى (اسبارطة) رد النورسي بقوله : «عجيب أمركم . . إنني لم آت هنا لكي أغادرها . . إنني قد أموت . . ألا ترون حالي؟»(1) .

ولشدة مرضه ظل محاصراً في فندق (أورفة) إلى يوم الأربعاء 26 رمضان 1379هـ (1960/3/23م) حيث فارق الحياة .

وبعد انتشار خبر وفاته في جميع أنحاء تركيا ، تقاطر على (أورفة) سيل من الناس للاشتراك في توديعه إلى مثواه الأخير بمقبرة «أولو جامع» . (Ulu Cami)(2) .

عقب وفاة النورسي بشهرين وقع انقلاب عسكري أطاح بحكومة «الحزب الديمقراطي» التي سيق أعضاؤها إلى «محكمة الدستور» ، فقضت بإعدام رئيس الوزراء «عدنان مندريس» واثنين من وزرائه ، وبالسجن للمسؤولين السابقين في الحزب المطاح به .

لقد رأى العسكريون أن استمرار سياسة الحزب الديمقراطي سينسف مبادئ أتاتورك ، وسيمكن للحركة الإسلامية التي اتسع نفوذها وتأثيرها ، فأبدوا عداء واضحاً للتيارات الإسلامية ، ولاسيما حركة «طلاب النور» . ولعل ما يبرهن على هذا العداء قيامهم – بعد أربعة أشهر من الانقلاب – بنقل رفات النورسي من قبره في أورفة إلى جهة أخرى ظلت مجهولة إلى حد الآن ، حيث أجبروا أخاه «عبد المجيد» على توقيع طلب – معدٍّ سلفاً – بنقل جثمان بديع الزمان من (أورفة) ، واقتيد إلى هناك تحت حراسة مشددة ، وفي جوف الليل حفر قبره ونقل جثمانه إلى مكان مجهول(3) .

لكن وفاة النورسي لم توقف دعوته ؛ إذ ظل موجوداً ومؤثراً بمؤلفاته ورسائله التي حملت أفكاره واستمرت في أداء وظيفته . ولا شك أنه كان صادقا حينما قال :

---

(1) إحسان قاسم الصالحي : بديع الزمان سعيد النورسي . ص 129 . 130 .
(2) انظر : أورخان محمد على : النورسي رجل القدر . ص : 290 .
(3) انظر : نجم الدين شاهين أر . حياة بديع الزمان وجوانبها المجهولة . ص : 416 . 440 .

«إن (رسائل النور) تقوم بإيفاء وظيفتها أفضل مني عشر مرات . . . لذا فلم تبق هناك حاجة لوجودي» .